

لمحات من توظيف التراث في شعر الفرسان

أ.م.د. كوثر هاتف كريم

جامعة الكوفة / كلية التربية للبنات / قسم اللغة العربية

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبيه محمد سيد المرسلين ، وخاتم الأنبياء أجمعين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين . وبعد ..

فمما لا شك فيه ان التراث ذاكرة الشعوب وحاضرها، وموسوعة للمعالم الحضارية لأي امة من الامم لأنها تعكس ثقافة الشعوب التي لا تعد ولا تحصى فكلما كانت الأمة عريقة كان تراثها المتراكم كبيراً وعميقاً. ولما كان التراث هو خلاصة وعصارة الأمم فكان بحق مادة وأداة مهمة للأدباء عامة والشعراء خاصة في إبداعاتهم. وتوظيف التراث أصبح ميزة من أهم ميزات الشعر العربي وإن توظيف التراث في شعر أي شاعر يكشف لنا ثقافة الشاعر ووعيه بماضيه بعامة وتراثه بخاصة .

ويعد شعر الفرسان في عصر ما قبل الاسلام حافلاً بصور التراث المختلفة من أمثال الموروث التاريخي والديني والاجتماعي وغيره فكان وثيقة تاريخية وكنزاً ثراً من كنوز الحضارة العربية . وقد نصبت الدراسة في هذا البحث على التعريف بالتراث في اللغة والاصطلاح وذلك في المدخل ، ثم قسم البحث على ثلاثة محاور ، جاء المحور الاول لدراسة الموروث الديني في شعر الفرسان ومدى توظيفه لهم في اشعارهم .

اما المحور الثاني فقد تناول الموروث التاريخي وبما يحمل من احداث ووقائع سجلت في اشعارهم. وخصص المحور الثالث للموروث الادبي من حكم وامثال ووصايا تضمنتها اشعارهم اظهرت ابداع هؤلاء الشعراء وعملت على حفظ تراث اجدادنا من الضياع وحببته الى نفوس المتلقين.

لمحات من توظيف التراث في شعر الفرسان

ثم ختمت البحث بخاتمة أوجزت فيها أهم النتائج ، ثم قائمة بالمصادر والمراجع . ومن الله السداد في القول والعمل . هو نعم المولى ونعم النصير.

مدخل: التراث في اللغة والاصطلاح

التراث لغة :

جاءت لفظة التراث في لسان العرب لغة مشتقة من الفعل الثلاثي "ورث" فقلبت الواو تاء لثقل الضمة على الواو وتدلّ مادة (وَرِثَ) في المعاجم اللغوية على المال الموروث، أي الذي يخلفه الرجل بعد موته لوارثه.^(١) والورث والوارث والإراث والوراث والتراث، والتراث واحد من الميراث أصله مواريث انقلبت الواو ياء وكسر ما قبلها والتراث أصل فيه واو.^(٢)

وعرفه صاحب المحيط في اللغة : ((ورث الميراث: ما يُورث، ورث يرث، وورثته وأورثته. وأورثته همًا. والإراث: أصله ورث. والتراث تأؤه واو: تركه الميراث، ولا يُجمع كجمع المواريث. وفي الدعاء: "اللهم أمتعني بسمعي وبصري واجعلهما الوارث مني"، أراد: أبقيهما معي حتى أموت. والمورث: المبقى، والوارث: الباقي.))^(٣)

ويقال: ورثت فلاناً مالا، أرثه ورثاً وورثاً، إذا مات مورثك فصار ميراثه لك^(٤). قال الله تعالى إخباراً عن زكريا ودعائه إياه: ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴾ (*) يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيعاً^(٥) أي يبقى بعدي فيصير له ميراثي والله عز وجل يرث الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين.

اما التراث اصطلاحاً:

فهو ((كل ما وصل إلينا داخل الحضارة السائدة، فهو قضية موروث في نفس الوقت قضية معطى حاضر على مستويات عدة))^(٦)

ولا ريب أنّ التراث ينحصر في الكمّ الهائل من العادات والقيم التي تركها الأجداد والأباء للأبناء على مرّ العصور، والمشتغل على القيم الدينية والتاريخية والحضارية ، بما فيها من عادات وتقاليد متوارثة ،فالتراث هو روح الماضي الحاضر المستقبل، لأن ((التراث مستمرّ معنا إلى الآن بصورة أو بأخرى، وغالبًا ما

لمحات من توظيف التراث في شعر الفرسان

يختلف من زمن إلى آخر، فالتراث يتشكّل في كلّ مدة زمنيّة عن الأخرى، ونظرة الإنسان إليه تختلف، ووجهات النّظر تتفاعل بالأخذ والعطاء^(٧)

أن مصطلح التراث مصطلحا عميقا واسعا ومتشابك من سلوكيّات الأمّة وحضارتها الخالدة، فالتراث هو كلّ ما خلفه السّلف من آثار علميّة وفنيّة وأدبيّة وفكريّة وعادات وتقاليّد وقيم وممارسات^(٨). ولاشك أن للتراث اهمية كبيرة عند اي شاعر فهي ثروة تمتد به بكل ما نقله الى المتلقي من تجارب انسانية يسعى الشاعر الى غرسها في نفوس المتلقين وعقولهم .

فتوظيف الشّاعر للتّراث يسبغ على نتاجه الشعريّ ((عراقة وأصالة ويمثّل نوعاً من امتداد الماضي في الحاضر، وتغلغل الحاضر بجذوره في تربة الماضي الخصبة المعطاء، كما أنّه يمنح الرؤية الشعريّة نوعاً من الشّمول والكلّيّة))^(٩)

وشعر الفرسان كان حافلا بصور التراث فقد جسدها بشعرهم على نحو مختلف سواء أكان من ذكرهم لعدة الحرب والايام والمواضع وغيرها فضلا عن الاساطير والشخصيات التاريخية التي عرفت بالبطولة والاقدام فكان بحق وثيقة تاريخية عسكت صورة الادب العربي الاصيل وتراثه المجيد .

لذا لابد من تسليط الضوء على جانب من تجارب الشعراء الفرسان وابداعاتهم الشعرية التي تضمنت صور التراث المختلفة من موروث ديني وتاريخي وادبي وغيرها الكثير وهذا ما سنتاوله في المحاور الاتية :

اولاً : الموروث الديني

لقد وظف الشاعر العربي التراث و الموروث الديني في شعره ، واستعملها تعبيرياً لحمل بُعد من أبعاد تجربته الشعرية التي يعبر من خلالها أو بها عن رؤياه للحياة بابعادها المختلفة .

وقد كان معظم العرب قبل الإسلام يتدينّ بالوثنية، لكن ما وصل إلينا من الشعر العربي القديم يدلّ على أن هذا الشعر لم يتفاعل مع الديانة الوثنية إلّا عرضاً، وقلّما نجد في هذا الشعر قصيدة تتحدّث عن الوثنية لذاتها. إلّا أنه يُلاحظ من ناحية أخرى، أن الشعر في حقبة الإسلام أمّد الدارسين بفيض من المعارف عن

لمحات من توظيف التراث في شعر الفرسان

الحياة القريبة من الإسلام، في حين شعر ما قبل الإسلام (أو ما وصلنا منه) لم يقدم صورة واضحة عن الحياة الدينية في تلك الحقبة. وكان في ذلك مجازاة للإسلام، أي في التنصل من الجاهلية لما تحمل من ذكر الأصنام. (١٠)

وعند الاطلاع على اشعار الشعراء العرب نجدهم انهم قد عرفوا الديانات التي استوطنت أرض الجزيرة العربية، ونستدل على ذلك بشكل صريح مما ورد في أقوال الشعراء من ألفاظ دينية معينة أو استنتاجاً، وقد عرف معظم الشعراء (الله عز وجل) وتحدثوا عنه، وأقسموا به، وذكروا بعض صفاته ولو اختلطت المفاهيم الدينية عندهم بمفاهيم جاهلية أخرى فيها من الشرك مثلاً ما يتناهى مع فكرة التوحيد التي تقول بها الأديان السماوية (١١) من ذلك أبيات الشاعر لبيد بن ربيعة العامري المشهورة:

وَمَا الْمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدِيعَةٌ وَلَا بُدٌّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الْوَدَائِعُ
فَلَا تَبْعَدَنَّ إِنَّ الْمَنِيَّةَ مَوْعِدٌ عَلَيْكَ فَدَانٍ لِلْطَّلُوعِ وَطَالِعِ
أَلَيْسَ وَرَائِي إِنْ تَرَاخَيْتَ مَنِيَّتِي لَزُومُ الْعَصَا تُحْنِي عَلَيْهَا الْأَصَابِعُ
أَخْبِرْ أَخْبَارَ الْقُرُونِ الَّتِي مَضَتْ أَدَبٌ كَأَنِّي كُلَّمَا قُمْتُ رَاكِعُ
لَعَمْرُكَ مَا تَدْرِي الضَّوَارِبُ بِالْحَصَى وَلَا زَاچِرَاتُ الطَّيْرِ مَا اللَّهُ صَانِعُ (١٢)

يشير الشاعر الى الإيمان بالله وقضائه وقدره، مع ربط ذلك بأخبار الأقوام السالفة والموت الذي فرقههم وما يفرض عليه القدر من لزوم العصا التي تحنى عليها الأصابع بتقدم العمر وكلها أحداث لا طائل للإنسان بها، بل هي قدر من الله - سبحانه - ولا يدري المرء ما يجري في المستقبل وما الله صانع به؛ لأنه الأقوى ولا يعلم الغيب احد سواه.

وكذا جاءت أبيات الشاعر عنترة بن شداد العبسي يصور إيمانه بالله تعالى وكيف يبث شكواه اليه تعالى من جور قومه: (من الطويل)

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو جَوْرَ قَوْمِي وَظَلَمَهُمْ إِذَا لَمْ أَجِدْ خِلاً عَلَى الْبُعْدِ يَعْضُدُ (١٣)

لمحات من توظيف التراث في شعر الفرسان

ونجد هذا الايمان بالله يتجسد في القسم به تعالى من ذلك قول المهلهل بن ربيعة :

فوالله ثم والله ثم والله اله خالق كل البوادي (١٤)

ومثله قول عمرو بن معد كرب الزبيدي : (من الطويل)

فوالله لولا الله لا شيء غيره لجللته الصمصام أو يتقَطعا (١٥)

ونجد في شعر الفرسان كثرة القسم بالله تعالى وليس هذا فقط بل نجد ايضا انهم يقسمون بالمقدسات والشعائر

الجاهلية وبالبيت الحرام من ذلك قول النابغة الذبياني : (من البسيط)

فلا لعمر الذي مسح كعبته وما هريق على الأنصاب من جسد

والمؤمن العائذات الطير تمسحها ركبأن مكة بين الغيل والسعد (١٦)

ومثله قول زهير بن ابي سلمى :

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجلاً بنوه من قريش وجرهم (١٧)

وقال قيس بن الخطيم : (من المنسرح)

والله ذي المسجد الحرام وما جليل من يمنية لها خنف

إني لأهواك غير ذي كذب قد شف مني الأحشاء والشعف (١٨)

وقد تردد مصطلح (الحل والاحرام) و(المسجد الحرام) على السنة الناس في الجاهلية قبل نزول القرآن

الكريم ومن ذلك قسم المهلهل بن ربيعة في رثاء اخيه كليب : (من الكامل)

قتلوا كليباً ثم قالوا أربعوا كذبوا ورب الحلى والإحرام (١٩)

ومن امثلة الموروث الديني ذكرهم ليوم القيامة والحساب والعقاب والايمن بالموث والبعث والنشور

من ذلك قول ابن زبيد الطائي :

صبراً على حدثان الدهر وانقبضي عن الدناءة إن الحر يصطبر

فما رزقت فإن الله جالبه وما حرمت فما يجري به القدر (٢٠)

ومنه كذلك قول خفاف بن ندبة : (من الطويل)

فَهَلَّا حَشِيتَ اللهَ وَالْمَنْزِلَ الَّذِي تَصِيرُ إِلَيْهِ — بَعْدَ إِحْدَى الصَّفَائِقِ
لَقَدْ كَانَ خِزْيًا فِي الْحَيَاةِ لِقَوْمِهِ وَفِي الْبَعَثِ بَعْدَ الْمَوْتِ إِحْدَى الْعَوَالِقِ (٢١)

لقد كشفت هذه الاشعار عن جوانب الفكر الديني والانساني الموروث ، مما منح هذه النصوص صفة القدسية والديمومة ، ودعت المتلقين بالتفكر واخذ العظة فكرا وعقيدة ومنهجاً.

ثانيا : الموروث التاريخي

من المعلوم ان التاريخ هو سجل الأحداث التي وقعت في الماضي ، وهو احد المصادر التي استقى منها الشعراء الفرسان شعرهم ، فقد كان موردا ينهلون منه اغراضهم الشعرية ، وصورهم الفنية ، فالموروث التاريخي عكس ثقافة الامم السابقة بكل ما فيها من امجاد وقيم اصيلة .

والامة لا يعرف شخصيتها الا بالرجوع الى تراثها بمصادره المتنوعة ومضامينه المختلفة، قال ابن خلدون: ((ان فن التاريخ فن عزيز المذهب ، جم الفوائد ، شريف الغاية ، إذ هو يوقفنا على احوال الماضين من الامم في اخلاقهم ، والانبياء في سيرهم ، والملوك في دولهم وسياستهم ويمكن ان يتحول التاريخ الى اسطورة طالما انه يجل الاحداث التي وقعت في الماضي ...)) (٢٢).

ومن الواضح إن الموروث التاريخي هو جملة من الأحداث التاريخية، والأساطير القديمة الموجودة في القصص المروية، والتي تحدثت عن الأمم والشعوب البائدة، ولا يخلو التاريخ أيضاً من الحكايات الخارقة التي علقت في أذهان الأجيال لارتباطها إما بمكان تاريخي، أو بشخصية تاريخية (٢٣).

والشعر العربي مليء بمواقف تاريخية، زاهر بإشارات ورموز حول وقائع ماضية، وشخص أسطورية، ولما كان الشعر الجاهلي حقلاً رحباً للأحداث التاريخية كانت الأيام والحروب غرضاً وموضوعاً من مواضيع الشعر الجاهلي، واتخذت حيزاً واسعاً في شعرهم، لما عرف فيه العرب من أنهم أرباب حرب وبأس شديد، فكانت موروثاً تاريخياً هاماً في الشعر الجاهلي الذي تتسابق فيه البلاغات والمفاخرات .

ولطالما تغنى شعراء الجاهليين بأبطالهم، وبانتصاراتهم، وبوصف حروبهم وغاراتهم وأيامهم. (٢٤)

لمحات من توظيف التراث في شعر الفرسان

ومن امثال الموروث التاريخي في شعرهم ذكرهم للأقوام البالية البائدة كقوم عاد وثمود من ذلك قول المهلهل بن ربيعة يصف ما حدث لقوم بكر وكيف دمرت وحالها اصبحت كحال قوم عاد التي هلكت ، إذ اهلكها الله تعالى بريح عقيم كانت تطير بهم ثم ترمي بهم فتندق اعناقهم ولم يستطيعوا الاعتصام منها . (من الخفيف)

قَدْ مَلَكْنَاكُمْ فَكُونُوا عَبِيداً مَا لَكُمْ عَنْ مِلَاكِنا مِنْ مَجَالٍ
وَحُذُوا حِذْرَكُمْ وَشُدُّوا وَجُدُوا وَاصْبِرُوا لِلنِّزَالِ بَعْدَ النِّزَالِ
فَلَقَدْ أَصْلَبَتْ جَمَائِعُ بَكْرِ مِثْلَ عَادٍ إِذْ مُزِّقَتْ فِي الرَّمَالِ (٢٥)

ومثله قول عامر بن الطفيل: (من الطويل)

ذَكَرْتُ بَنِي عَادٍ وَفِي قَتْلِهِمْ أَسَى أَصَابَهُمْ رَيْبُ الزَّمَانِ فَأَذْهَبَا (٢٦)

وقال زهير بن ابي سلمى : (من الطويل)

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَهْلَكَ تُبْعاً وَأَهْلَكَ أَقْمَانِ بْنِ عَادٍ وَعَادِيَا (٢٧)

وكثيرا ما يستعمل الشعراء الموروث التاريخي من اجل اخذ العظة من الاقوام السابقة وما حل بها من دمار وخراب بسبب اعمالهم من ذلك قول طرفة بن العبد مذكرا نفسه وابناء قومه : (من الطويل)

فَكَيْفَ يُرْجَى الْمَرْءُ ذَهْرًا مُخْلَدًا وَأَعْمَالُهُ عَمَّا قَلِيلٍ تُحَاسِبُهُ
أَلَمْ تَرَ لَقْمَانَ بْنَ عَادٍ تَتَابَعَتْ عَلَيْهِ النُّسُورُ ثُمَّ غَابَتْ كَوَاكِبُهُ (٢٨)

فأشار في هذه القصيدة إلى مصير الإنسان، ثم ذكر القارئ بالموت، وبين أن الذي ينتفع بهذه النصائح هو صاحب العقل السليم، فطلب من المتلقي أن ينتبه في فعله ويتفكر .

ومما نلاحظه في شعر الفرسان انهم وظفوا الشخصيات التاريخية في شعرهم من ملوك وقادة وقبائل وغيرهم من ذلك قول الاعشى :

مَنْ مُبْلَغٌ كِسْرَى إِذَا مَا جَاءَهُ عَنِّي مَالِكٌ مُخْمِشَاتٍ شُرْدَا (٢٩)

لمحات من توظيف التراث في شعر الفرسان

ومثله قول الحارث بن ظالم المري: (من الطويل)

أَلَا سَائِلُ النُّعْمَانِ إِنْ كُنْتَ سَائِلًا وَحَيَّ كِلَابَ هَلْ فَتَكْتُ بِخَالِدِ
عَشَوْتُ عَلَيْهِ وَابْنُ جَعْدَةَ دُونَهُ وَعُزْوَةُ يَكْلَأُ عَمَّهُ غَيْرَ رَاقِدِ
وَقَدْ نَصَبَا رَجُلًا فَبَاشَرْتُ جَوَزَهُ بِكُلِّ مَخْشِيٍّ الْعَدَاوَةَ حَارِدِ
فَأَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ يَأْفُوحُ رَأْسِهِ فَصَمَّمُ حَتَّى نَالَ نُوْطَ الْقَلَانِدِ
وَأَفْلَتَ عَبْدُ اللَّهِ مَنِّي بَدْعُ—رِهِ وَعُزْوَةُ مِنْ بَعْدِ ابْنِ جَعْدَةَ شَاهِدِي (٣٠)

وإذا خالط الفخر بالشعر مدح العظماء لأن، انكسرت شوكته، أثر المسالمة على المخاصمة،

وخلع الشاعر على فخره جناحين يطيران به إلى الممدوح ويردان به السماع وينشران ذكره في

الآفاق، قال المسيب بن علس: (من الكامل)

فَلَاهِدِيْنَ مَعَ الرِّيحِ قَصِيْدَةً مَنِّي مُغْلَعَةً إِلَى الْقَعْقَاعِ
تَرْدُ الْمِيَاءَ فَمَا تَزَالُ غَرِيْبَةً فِي الْقَوْمِ يَبِيْنَ تَمَثَّلِ وَسَمَاعِ (٣١)

ومثله قول ضمرة النهشلي في مدح النعمان : (من الطويل)

تَرَكْتُ بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ وَفَعَلَهُمْ وَأَشْبَهْتُ تَيْسًا بِالْحِجَازِ مُزْنَمًا
وَلَنْ أَذْكَرَ النُّعْمَانَ إِلَّا بِصَالِحٍ فَإِنَّ لَهُ فَضْلًا عَلَيْنَا وَأَنْعُمًا (٣٢)

ومن جميل صور الموروث التاريخي قول عمرو بن كلثوم وهو يذكر حسبه ونسبه التي ترتقي الى الامجاد

من ابائه واجداه الافذاذ : (من الوافر)

وَرِثْنَا مَجْدَ عَلَقَمَةَ بْنِ سَيْفٍ أَبَاحَ لَنَا حُصُونَ الْمَجْدِ دِينَا
وَرِثْتُ مُهْلَهْلًا وَالْخَيْرَ مِنْهُ زُهَيْرًا نِعَمَ دُخْرُ الدَّخْرِينَا
وَعَتَابًا وَكُلُّ—ثُومًا جَمِيعًا بِهِمْ نَلْنَا ثُرَاتِ الْأَكْرَمِينَا
وَذَا الْبُرَّةِ الَّذِي حُدِّثَتْ عَنْهُ بِهِ نُحْمِي وَنَحْمِي الْمُحْجَرِينَا

لمحات من توظيف التراث في شعر الفرسان

وَمِنَّا قَبْلَهُ السَّاعِي كُلُّيْبٌ فَأَيُّ الْمَجْدِ إِلَّا قَدْ وَلِينَا (٣٣)

هنا اشار الشاعر الى سلسلة من الأسماء، عرف أصحابها بالبطولة والأنفة على مدى العصور ، واقتترنت شهرتهم بإعمال جليلة، وانتصارات هامة، ورثها الأبناء عن الآباء

ومن جانب اخر نجد ان العرب لطالما تغنت بانتصاراتها وحروبها ووقائعها وغالبا ما يطلق على هذه الحروب والوقائع تسمية الايام ، حتى اصبحت تلك الايام موروثة تاريخيا عرفت بها القبائل المنتصرة (٣٤)، وكان الشعراء الفرسان خير من نقل تلك الوقائع والايام وارخ لها نحو يوم حليلة ، ويوم النصار ، ويوم الجفار ويوم المشقر وغيرها ، مما شكلت موروثة تاريخيا زاخرا بالاحداث وسجلا حافلا بالوقائع إذ وظفها الشعراء في اشعارهم بصور فنية رائعة .

من ذلك قول عنتره في يوم الفروق الذي انتصر فيه قومه بنو عبس معددا فيها المآثر وخاصة الحفاظ على النساء باعتبارها الرمز لشرف القبيلة : (من الطويل)

أَلَا قَاتَلَ اللَّهُ الطُّلُوحَ الْبَوَالِيَا وَقَاتَلَ ذِكْرًاكَ السِّنِينَ الْخَوَالِيَا
وَقَوْلَكَ لِلشَّيْءِ الَّذِي لَا تَنَالُهُ إِذَا مَا حَلَا فِي الْعَيْنِ يَا لَيْتَ ذَا لِيَا
وَحَنُّ مَعَنَا بِالْفُرُوقِ نِسَاءَنَا نُطَرِّفُ عَنْهَا مَشْعَلَاتٍ غَوَاشِيَا
حَافِنَا لَهُمْ وَالْخَيْلُ تَرْدِي بِنَا مَعًا نُزَايِلُهُمْ حَتَّى يَهْرُوا الْعَوَالِيَا (٣٥)

ومثله قول عامر بن الطفيل ذاكرا منازلته في يوم (فيف الريح) و (يوم المشقر)مفتخرا بنفسه ، معددا خصاله الحميدة من كرم وحماية الجار وحماية المستضعف : (من الطويل)

لَقَدْ عَلِمْتَ عَلِيَا هَـوَازِنَ أَنَّنِي أَنَا الْفَارِسُ الْحَامِي حَقِيقَةً جَعْفَرُ
وَقَدْ عَلِمَ الْمَزْنُوقُ أَنَّنِي أَكْرُهُ عَشِيَّةَ فَيْفِ الرِّيحِ كَرَّ الْمُشْتَهَرِ
إِذَا إِزْوَرَ مِنْ وَقَعَ الرِّمَاحُ زَجَرْتُهُ وَقُلْتُ لَهُ إِرْجِعْ مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرِ
وَأَنْبَأْتُهُ أَنَّ الْفِرَارَ خَزَايَا عَلَى الْمَرْءِ مَا لَمْ يُبْلِ عُدْرًا فَيَعْدِرُ

لمحات من توظيف التراث في شعر الفرسان

أَلَسْتُ تَرَى أَرْمَاخَهُمْ فِي شُرْعاً وَأَنْتَ حِصَانٌ مَاجِدُ الْعِرْقِ قَاصِرُ
أَرَدْتُ لِكَيْمَا يَعْلَمَ اللَّهُ أَنَّنِي صَبَرْتُ وَأَخْشَى مِثْلَ يَوْمِ الْمُشَقَّرِ^(٣٦)
وقال المهلهل بن ربيعة في رثاء اخيه كليب وكيف حقق الانتصار واخذ بثأر اخيه وما عمل بالاعداء : من
(الوافر)

أَلَيْتَنَا بِذِي حُسْمٍ أَنْيَرِي إِذَا أَنْتَ انْقَضَيْتَ فَلَا تَحُورِي
فَإِنْ يَكُ بِالذَّنَائِبِ طَالَ لَيْلِي فَقَدْ أَبْكَى مِنْ اللَّيْلِ الْقَصِيرِ
فَلَوْ نُشِشَ الْمَقَابِرُ عَنْ كُليبٍ فَيَعْلَمُ بِالذَّنَائِبِ أَيُّ زِيرِ
بِیَوْمِ الشَّعْثَمِينَ أَقْرَّ عَيْنًا وَكَيْفَ لِقَاءَ مَنْ تَحْتَ الْقُبُورِ
وَأَنِّي قَدْ تَرَكْتُ بِوَارِدَاتٍ بُجْبِرًا فِي دَمٍ مِثْلِ الْعَبِيرِ
عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلًا مِنْ كُليبٍ إِذَا خَافَ الْمُغَارُ مِنْ الْمُغِيرِ^(٣٧)

فالشاعر يعدد تلك الايام من (يوم الذنائب ، ويوم الشعثمين ، وورادت) وكلها من ايام العرب المعروفة التي وقعت احداثها بين قبيلتي بكر وتغلب .

يعد شعر الايام مادة تاريخية وادبية خصبة ، اذ ان الشاعر لم يكن يستطيع ان يفخر او يمدح او يهجو او يرثي الا وهو يستند الى ما خلفته تلك الايام من آثار في روحه وذاكرته^(٣٨).

لقد ظلَّ الشعر الجاهلي يمثل نوعا من أنواع الحركة الدقيقة التي كان الشاعر يوظفها في شعره لرصد واقعه إما عن طريق الوصف التقريري أو عن طريق الخيال المبدع. إذ كانت "أيام العرب" رصيда ثقافيا ضخما، حملت جذور التراث الشعري في جميع مراحلها، وكونت صورة حقيقية عن الواقع المعاش آنذاك.
ثالثا: الموروث الادبي

يعد الادب تراث الامة الاصيل والشاعر هو من يعكس اصالة هذا التراث بما يحمل من قيم سامية واخلاق وعادات حميدة ولان الشاعر هو من يصور ملامح عصره وبيئته الفكرية والاجتماعية والسياسية ، وحينها

لمحات من توظيف التراث في شعر الفرسان

يكون الأدب مرآة ذلك العصر وروحه لما يتضمن من معارف وآداب متعددة فكان بحق وعاء فكريا معطاء لعلوم الأمم وافكارها وتطلعاتها فهو ديوان علمهم ومنتهى حكمهم.^(٣٩)

وقد وظف الشعراء الفرسان في اشعارهم المختلفة حكم ووصايا وامثال عكست تراث الامة وافكارها وعاداتها وتقاليدها الاصيلية التي ورثوها من اسلافهم وكانوا يحرصون على التحلي بها . فجاءت اشعارهم ملئية بتلك الامثال والحكم والوصايا . وهذا ان دل على شيء فهو يدل على الرقي الفكري والادبي لدى هؤلاء الشعراء ووعيمهم بحفظ تراث الامة المجيد .

والأدب العربي حافل بالقيم الفنية والأخلاقية يتجلى ذلك في الحكم والأمثال التي يزخر بها، والتي تصلح لكل زمان ومكان وتعتبر تعبيراً جميلاً عن تطلعات الإنسان وهمومه ومعاناته في سبيل الحياة والسعي في جنباتها.

إن في تلك الأمثال والحكم لزخماً هائلاً من تجارب الأمم والمجتمعات في مختلف العصور وعلى مر الأيام وما زال للحكمة والمثل في الأدب العربي مكانة متميزة. ويحفل الشعر العربي بالحكم والنزعات الشريفة كالحث على مكارم الأخلاق والمحبة وبذل المعروف والشهامة والكرم وفعل الخير والصبر والتعاون والصدق والإخلاص والشجاعة والحزم وحسن الأدب والخلق، وغير ذلك من الصور والمعاني النبيلة^(٤٠)، ومن يستعرض دواوين الشعر وكتب الأدب والتراث يدرك حقيقة ذلك.. وحينما يقرأ المرء معلقة زهير يجد روائع الحكمة تتجلى في صورة أدبية بليغة كقوله: (من الطويل)

سَمِثْتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعْشِ	ثَمَانِينَ حَـ_____وَلَا لَا أَبَا لَكَ يَسَامُ
رَأَيْتُ الْمَنَايَا خَبَطَ عَشَوَاءَ مَنْ تُصِيبُ	ثُمْتُهُ وَمَنْ تَخْطِئُ يُعَمَّرُ فَيَهْرَمُ
وَمَنْ يَغْتَرِبُ يَحْسِبُ عَدُوًّا صَدِيقَهُ	وَمَنْ لَا يُكْرِمُ نَفْسَهُ لَا يُكْرَمُ
وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِيٍّ مِنْ خَلِيقَةٍ	وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمُ ^(٤١)

لمحات من توظيف التراث في شعر الفرسان

وَمِثْلُهُ قَوْلُ رَبِيعَةَ بْنِ مَقْرُومٍ : (من الوافر)

ومن توظيف الحكم في شعرهم قول ذي الاصبع العدوانى يدعو الى التمسك بالاخلاق الحميدة فهي خير ما يرثه الانسان في حياته وبعد مماته : (من البسيط)

ولشاعر الفند الزماني موقف آخر في اسجاع الحكمة فقد يبدو في قصيدة له مجنّداً للحرب حين تكون حياته وحياة قبيلته مرهونة بخوضها ولا يمكن أن يتجنبها . لذلك قال قصيدته إذ تضمنت حكماً بارعة قائلاً : (من مجزوء الوافر)

والاشعار كثيرة هنا التي وظفها الشعراء في الحكمة لا يسع المجال لذكرها .

ومما لاشك فيه ان امثال كل امة من الامم تكون نابعة من بيئتها الاجتماعية ومستمدة تجاربها من الحياة اليومية كونها سجلا للاحداث والوقائع عبر التاريخ ، فكانت الامثال خير موروث تغنى بها الشعراء الفرسان وحرصوا على تضمينها في اشعارهم لما لها من اثر في نفوس المتلقين وعقولهم. او من اجل

لمحات من توظيف التراث في شعر الفرسان

تعليمهما للأجيال اللاحقة لأنها تحمل في اثناها نصائح للفرد والمجتمع على السواء (٤٦)

ومن الامثال الوارد في شعر الفرسان قول نجبة الفزاري : (من

جَزَى اللهَ لَأَيًّا كُلَّهَا غَيْرَ وَاحِدٍ جَزَاءَ سِنِمَارٍ جَزَاءَ مُؤَفَّرَا (٤٧)

ومثله قول عامر بن الطفيل:

جَزَانِي أَخُو لَحْمٍ عَلَى ذَاتِ بَيْنِنَا جَزَاءَ سِنِمَارٍ وَمَا كَانَ ذَا ذَنْبٍ (٤٨)

وهو مثل (وجزاء سنمار سنمار مثلاً) (٤٩) وهذا المثل يضرب للذي يقابل الاحسان بالاساءة ، او يضرب

في عقوبة المحسن البريء . ومثله قول معن بن اوس المزني : (من الوافر)

أَعْلَمُهُ الرَّمَايَةَ كُلُّ يَوْمٍ فَلَمَّا اسْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي

وَكَمْ عَلَّمْتُهُ نَظْمَ الْقَوَافِي فَلَمَّا قَالَ قَافِيَةً هَجَانِي (٥٠)

و من الأبيات المشهورة الَّتِي يُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ فَيَمَنْ يُنْكَرُ إِحْسَانٌ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ، ويُجَازِيهِ بِالْإِحْسَانِ إِسَاءَةً.

ومن توظيف المثل قول عامر بن الطفيل : (من الوافر)

أَلَا أَبْلَغُ عُومِرَ عَنْ زِيَادٍ فَإِنَّ مَظْنَّةَ الْجَهْلِ الشَّبَابُ

فَإِنَّكَ سَوْفَ تَحْلُمُ أَوْ تَنَاهَى إِذَا مَا شَبَبْتَ أَوْ شَابَ الْغُرَابُ (٥١)

ضرب مثلاً لما لا يكون فيقال لا يكون ذلك حتى يشيب الغراب كما يقال حنة يلج الجمل في سم الخياط

أى لا يكون ذلك أبدا وهذه من أمثال التأبيد أي انت لا تحلم كما ان الغراب لا يشيب (٥٢)

ومن صور الامثال في شعر الفرسان قول سلامة بن جندل : (من الطويل)

إِلَى تَمِيمٍ حُمَاةِ الثَّغْرِ نَسِبَتْهُمْ وَكُلِّ ذِي حَسَبٍ فِي النَّاسِ مَنَسُوبٍ

قَوْمٌ إِذَا صَرَّحَتْ كَحْلٌ بَبِوَتْهُمْ عِزُّ الدَّلِيلِ وَمَأْوَى كُلِّ قُرْضُوبٍ (٥٣)

وظف الشاعر هنا المثل (صرحت كحل) (٥٤) وهو يضرب للدلالة على السنة الشديدة الجذب ، وليبرز

الشاعر فخره بقومه الذين يتكفلون الارامل واليتامى وقت الشدة والقحط .

لمحات من توظيف التراث في شعر الفرسان

تعد الأمثال فناً بيانياً يقرب المراد إلى العقول، ويثبت المعاني في النفوس؛ ويشتمل مضمونه على مقاصد شتى تنفذ إلى أعماق الجوانب الإنسانية بعد أن يرسخ قوائمه في الأذهان، فيفصح المضمون عن معاني التقرير والترغيب والاعتبار والزجر والثواب والعقاب.

الخاتمة

يبقى النص الشعري القديم رافداً من روافد الثقافة العربية الأصيلة، إذ عكس الحياة العربية بكل مظاهرها في ذلك العصر بما تضمن من تراث عريق من افكار واءاء ومعتقدات وعادات، وقد توصل البحث الى جملة من النتائج عن هذه الظاهرة الادبية ومنها:

- ١- ان الشعراء الفرسان كانوا يحملون في ذاكرتهم تراثاً خصباً، متعدد الجوانب، ومتنوع الروافد، فقد استلهموا هذا التراث على مستوى الافكار واللغة والتشكيل الفني.
- ٢- عمد الشعراء الفرسان في أشعارهم على مصادر التراث القديمة، التي شملت الدين، والتاريخ والأدب، والمعتقدات والأساطير التي أفادوا منها، وبنوا صورهم الشعرية منها، التي هي أهم موروثاتهم فكانوا على معرفة بأدق التفاصيل والاديان.
- ٣- كان شعر الفرسان صورة واضحة لأحداث وشخصيات تاريخية ارتبطت بالتراث العربي الجاهلي القديم، وكانت هذه الشخصيات اما ملوكاً أو أمراء أو فرساناً شاع ذكرهم في الجاهلية فكانت بحق وثيقة تاريخية يفاد منها الدارس.
- ٤- يدل شعر الفرسان على موهبتهم في توظيف الموروث الأدبي واجادتهم الشعرية، من حكم ووصايا، وأمثال، فجاءت اشعارهم تلخص تجاربهم وخبراتهم في الحياة وسعوا الى نقلها للمتلقين والتأثير فيهم وغرس تلك التجارب في عقولهم ونفوسهم.
- ٥- وظف الشعراء العناصر التراثية الخالدة في الشعر، والتي تدلل تمسكهم بالماضي والرغبة الأكيدة في إحياء التراث الذي يعود إلى جذور الحياة وسعوا إلى تعميق ما جادت به هذه الأشعار من

لمحات من توظيف التراث في شعر الفرسان

موضوعات لها صداها في كتب متنوعة لغوية وأدبية وبلاغية، وما تحمل في طواياها من قيم ومثل عربية أصيلة تحت المتلقي على التمسك والتحلي بها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الهوامش:

- (١) لسان العرب : مادة ورث ٣٨٧/١٢.
- (٢) ينظر المصدر نفسه : ٣٨٩/١٢.
- (٣) المحيط في اللغة : صاحب بن عباد ١٤١/١.
- (٤) تهذيب اللغة : للازهري ١٥٩/٤.
- (٥) سورة مريم : آية ٥-٦.
- (٦) أثر التراث العربي في المسرح المعاصر: سيد اسماعيل ٤٥ .
- (٧) حياتي في الشعر: د. صلاح عبد الصبور ١١٣.
- (٨) ينظر توظيف التراث والشخصيات الجهادية والإسلامية في شعر إبراهيم المقادمة: د. ماجد محمد النعامي ، مجلة الجامعة الإسلامية ، غزة ، مجلد ١٥ ، العدد الاول : ٥٧.
- (٩) استدعاء الشخصيات التراثية: عليّ عشريّ زايد ١٢١.
- (١٠) توظيف الموروث في شعر الأعشى: وسام عبد السلام عبدالرحمن أحمد ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية ، فلسطين ، ٢٠١١ ، ٣٦.
- (١١) المفصل في تاريخ العرب: جواد علي ٢٨٠/٢.
- (١٢) ديوان لبيد : ١٢٦.
- (١٣) ديوان عنتره: ١٥١.
- (١٤) ديوان المهلهل: ١٦٧.
- (١٥) ديوان عمرو بن معد: ٤٩.
- (١٦) ديوان النابغة : ٨٦.
- (١٧) ديوان زهير بن ابي سلمى : ١١٨.
- (١٨) ديوان قيس بن الخطيم : ١٨٤.
- (١٩) ديوان المهلهل : ١٧١.
- (٢٠) ديوان زبيد الطائي : ٦٣.
- (٢١) ديوان خفاف : ١٩٢.
- (٢٢) مقدمة ابن خلدون : ٥٦٣.
- (٢٣) ينظر مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية: د. ناصر الدين الاسد ١١٥.

- (٢٤) ينظر المصدر نفسه: ٢٣٧.
- (٢٥) ديوان المهلهل : ١٢٥.
- (٢٦) ديوان عامر بن الطفيل : ٦١.
- (٢٧) ديوان زهير بن ابي سلمى : ١٧٨.
- (٢٨) ديوان طرفة بن العبد : ٥٦.
- (٢٩) ديوان الاعشى : ٤٧.
- (٣٠) ديوان الحارث المري : ١٣٢.
- (٣١) ديوان المسيب بن علس : ٦٢.
- (٣٢) ديوان ضمرة النهشلي : ١١٩.
- (٣٣) ديوان عمرو بن كلثوم : ١٨٩.
- (٣٤) ينظر ايام العرب واثرها في الشعر الجاهلي :د. منذر خلف الجبوري ١٦٨.
- (٣٥) ديوان عنترة : ١٦٣.
- (٣٦) ديوان المهلهل : ٤٨.
- (٣٧) ديوان المهلهل : ٥٦.
- (٣٨) ايام العرب واثرها في الشعر الجاهلي : ٢٠١.
- (٣٩) الشعر ديوان العرب :عبد الله خلف ١٢.
- (٤٠) ينظر المثل في النثر العربي القديم : عبد المجيد عابدين ١٨.
- (٤١) ديوان زهير بن ابي سلمى : ١٧٣.
- (٤٢) ديوان معن بن اوس : ١٤٧.
- (٤٣) الاصمعيات : ٢٠١.
- (٤٤) ديوان ذي الاصبغ العدوانى : ٣٣.
- (٤٥) ديوان الفند الزمانى : ٨٦.
- (٤٦) ينظر المثل في النثر القديم : ٢١.
- (٤٧) ديوان المعاني : لابي هلال العسكري ١٨٧/١.
- (٤٨) ديوان عامر بن الطفيل : ٦٣.
- (٤٩) مجمع الامثال : للميداني ٥٩/١.
- (٥٠) ديوان معن بن اوس : ٥٥.
- (٥١) ديوان عامر بن الطفيل : ١٢١.
- (٥٢) ينظر ثمار القلوب في المضاف والمنسوب : للثعالبي ٧٥٠/١.
- (٥٣) ديوان سلامة بن جندل : ٦٦.
- (٥٤) مجمع الامثال : ١٦٣.

المصادر والمراجع

— القرآن الكريم

— أثر التراث العربي في المسرح المعاصر، سيّد عليّ إسماعيل، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠.

— استدعاء الشخصيات التراثية، عليّ عشريّ زايد، دار الفكر العربيّ، القاهرة، ط ١٩٩٧.

— الأصمعيّات، اختيار الأصمعي . أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك (ت ٢١٦هـ) ، تحقيق احمد محمد شاكر ، وعبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر، ط٧، ١٩٩٣م.

— الأمثال في النثر العربي القديم، ومقارنتها بنظائرها في الآداب السامية ، عبد المجيد عابدين، ط ١، القاهرة: دار مصر للطباعة ١٩٥٦.

— المُفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، د. جواد علي ، دار العلم للملايين - بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.

— أيام العرب وأثرها في الشعر العربي ، د. منذر الجبوري ، وزارة الثقافة والإعلام ، جمهورية العراق ، ١٩٧٤م .

— تهذيب اللغة . للأزهري، أبو منصور محمد بن احمد بن الأزهر الهروي (ت ٣٧٠هـ) ، تحقيق عبد السلام هارون ، الدار القومية للطباعة ، ١٩٦٤م.

— توظيف الموروث في الشعر العربي المعاصر، عليّ عشريّ زايد، مجلة فصول، مج ١، العدد الأول، أكتوبر ١٩٨٠

— توظيف الموروث في شعر الأعشى أحمد وسام عبد السلام ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح، نابلس، ٢٠١١ .

— توظيف التراث والشخصيات الجهادية والإسلامية في شعر إبراهيم المقادمة: د. ماجد محمد النعامي ، مجلة الجامعة الإسلامية ، غزة ، مجلد ١٥ ، العدد الاول.

- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب . للثعالبي ،أبو منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري (ت ٤٢٩هـ) ، مطبعة القاهرة ، القاهرة ، ١٣٢٦هـ
- حياتي في الشعر، صلاح عبد الصبور، دار العودة، بيروت، ط ١٩٦٩
- ديوان الأعشى .حققه وقدم له فوزي عطوي ،الشركة اللبنانية للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،لبنان ، ١٩٦٨م.
- ديوان المسيب بن علس .جاير ضمن (الصبح المنير في شعر أبي بصير) مطبعة آدلف هلز هوسن ،بيانة ١٩٢٧م.
- ديوان المعاني . لأبي هلال العسكري الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد (ت ٣٩٥هـ) ، عن نسخة الشيخ محمد عبده ،والشيخ محمد محمود الشنقيطي ، عالم الكتب ، (د.ت) ، (د.ط)
- ديوان النابغة الذبياني زياد بن معاوية بن ضباب (ت ١٦ ق.هـ)، ط ٣، شرحه عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٦ م.
- ديوان زهير بن أبي سلمى، الديوان، شرحه علي حسن فاعور، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨
- ديوان سلامة بن جندل .صنعه محمد بن الحسن الأحول ، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ديوان طرفة بن العبد البكري،شرح الأديب يوسف الأعلم الشنتمري،اعتنى بتصحيحه مكس سغلسون ،مطبعة المسيحية بمدينة ستالون ، ١٩٠٠م.
- ديوان عامر بن الطفيل لا، رواية ابي بكر محمد بن القاسم الانباري ، عن ابي العباس احمد لابن يحيى ثعلب ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ديوان عنتره ، تحقيق ودراسة محمد سعيد مولوي، المكتب الاسلامي ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
- ديوان قيس بن الخطيم ، تح : ناصر الدين الأسد دار صادر ، بيروت.

- _____ ديوان مهلهل بن ربيعة ، شرح وتقديم طلال حرب ، الدار العالمية . (د.ت).
- _____ الشعر ديوان العرب (الشعراء الصعاليك). دراسة تحليلية نقدية ،المكتب العربي للطباعة،الاسكندرية ١٩٨٧
- _____ لسان العرب : ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الأنصاري(ت ٧١١ هـ)، دار صادر، بيروت ١٤١٤ هـ.
- _____ مجمع الأمثال . للميداني ،أبو الفضل احمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري(ت٥١٨هـ) ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ،مطبعة السنة المحمدية ،١٩٥٥م.
- _____ مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية .الدكتور ناصر الدين الأسد ،دار الجيل ،بيروت ، ١٩٨٧م.
- _____ مقدّمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون (ت٨٠٨هـ) ، تح : د. حامد احمد الطاهر ، ط ١ ، ٢٠٠٤م.

